مجلة الدراسات التاريخية والحضارية(مجلة علمية محكمة)
المجلد (٩) العدد (٢٩) حزيران٢٠١٧م – رمضان ١٤٣٨هـ

الحرب العثمانية – الروسية بين عامي ١٨٠٦م – ١٨١٢م من وجهة نظر المؤرخين الروس المعاصرين

م.د. ماهر حامد جاسم محمد النورة

ملخص البحث:

الحرب العثمانية – الروسية ١٨٠٦–١٨١٢م هي امتداد للصراع القديم بين الصليب والهلال، والتي نشأت من رغبة روسيا في السيطرة على حدودها الجنوبية الطبيعية ووضع موطئ قدم لها على شواطئ البحر الأسود، هذه الحرب هي واحدة من المراحل الوسطى للصراع القديم الذي بدأ في النصف الثاني من القرن السادس عشر واكتمل في أواخر القرن التاسع عشر، اذ اضطرت روسيا في ١٨٠٦م لبدء معركة مع الدولة العثمانية في ظل ظروف غير مواتية ، عندها انصب كل اهتمام الروس على الجبهة الغربية ، وهي نفس الجبهة التي تقابل بها الجيش الروسي للمرة الأولى في مواجهة نابليون بونابرت عام ١٨١٢م .

كانت هذه الحرب بطبيعتها طويلة الأمد وقد تغيرت مجريات الأحداث ورجحت كفة النصر إلى جانب الروس خصوصا في آذار ١٨١١م بعد تعيين كوتوزوف قائدا للعمليات العسكرية الروسية لجيش الدانوب والذي عمل على تكثيف العمليات العسكرية على الضفة اليمنى لنهر روتشك أو (روشوك) وعلى الضفة اليسرى في (سلوبوزيا) من ضفاف نهر الدانوب حيث عانى العثمانيين من هزيمة ساحقة في الدانوب واضطر الباب العالي للتفاوض من أجل السلام على الرغم من الجهود الاستثنائية من قبل فرنسا لتعطيل اتفاق السلام ، إذ حدثت مفاوضات بين الجانبين وكان نتيجتها توقيع معاهدة السلام في يوم ١٦ أيار ١٨١٢م وتم توقيع هذه الاتفاقية في بوخارست وتم التصديق عليها بتاريخ ١١ حزيران ١٨١٢م من قبل ألكسندر الأول في مدينة فيلنا ، وفي هذا اليوم بالتحديد كان جيش كبير بقيادة نابليون بونابرت يستعد ويتجهز على حدود روسيا الغربية وعبر الحدود الغربية لروسيا بالفعل..

Abstract:

Ottoman - Russian war between 1806-1812 is a natural extension of the old conflict between the cross and the crescent, which originated from Russia's desire for access to the natural southern border and put foothold on the Black Sea shores, this war is one of the middle stages of the old conflict, which began In the second half of the sixteenth century and was completed in the late nineteenth century, was forced Russia in 1806 to start a battle with the Ottoman under unfavorable conditions, then the focus of all the Russians attention on the Western front, which is the same front that correspond to the Russian army for the first time in the face of Napoleon Bonaparte in 1812.

This was war inherently a long-term course of events and on the left Bank has changed and tipped the victory to the Russians, especially in March 1811 after the appointment of Kutuzov commander of Russian military operations of the army of the Danube, which work to intensify military operations on the right bank Rotchk or (Rochok) and (Slobozia) from the banks of the Danube River, where suffered the Turks from a crushing defeat in the Danube and forced the Porte to negotiate for peace in spite of extraordinary efforts by France to disrupt the peace agreement, there have been negotiations between the two sides, and it was the result signing of the peace 16 May Treaty of 1812 agreement was signed in Bucharest, which was ratified 11 June 1812 by Alexander I in the city of Vilna, and in this particular day was a large army led by Napoleon Bonaparte, preparing and equip on the western borders of Russia, and across the western border of Russia already.

المقدمة:

تعد الحرب العثمانية – الروسية بين عامي ١٨٠٦–١٨١٢ م من أطول الحروب التي وقعت بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية إذ أظهرت تلك الحرب مدى تفوق الآلة الحربية الروسية على العثمانيين فضلا عن أنها كشفت وبشكل واضح الضعف الذي دب في أوصال الدولة العثمانية لاسيما في الجوانب الاقتصادية والعسكرية إذ عانت الدولة العثمانية جراء تلك الحرب من عجز في خزينة الدولة العامة ، كما تبين أيضا مدى تمادي وتطاول الانكشاريين إلى أن وصل بهم الحد إلى عزل وقتل بعض السلاطين وفي ذلك دلالة واضحة على مدى ضعف الدولة العثمانية في تلك المدة اذ استطاعت روسيا استغلال تلك الظروف لصالحها وبدأت بتحريض الشعوب السلافية على الثورة ضد السلطان العثماني والمطالبة بالحكم الذاتي والاستقلال عن الحكم العثماني وكل ذلك كان بدعم روسي خالص ، ولولا تهديد نابليون بونابرت وتحشيد قواته على الحدود الغربية لروسيا التي باتت تنذر بحرب وشيكة مع الروس لما اضطر الكسندر الأول قيصر روسيا (١٧٧٧م –١٨٢٥ م) إلى إنهاء تلك الحرب وتوقيع معاهدة بوخارست عام ١٨١٢م وربما كانت قد استمرت هذه الحرب لمدة طويلة جدا لان القيصر الكسندر الأول كان يرغب في ضم العديد من أملاك الدولة العثمانية لروسيا مستغلا الأوضاع الداخلية السيئة للدولة العثمانية .

إن الغرض من هذا البحث بطبيعة الحال هو استعراض الحرب العثمانية – الروسية بين عامي ١٨٠٦–١٨١٢ م من وجهة نظر المؤرخين الروس المعاصرين ولتحقيق هذا الهدف لا بد من التطرق إلى أهم المحاور التالية :

أولا – نظرة على الأحداث والثورات في البلقان بين عامي ١٨٠٠م–١٨٠٥ م

ثانيا – أسباب الصراع بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية

ثالثا – حملة عام ١٨٠٧م والتحالف الروسي – البريطاني

رابعا – فشل المحادثات العثمانية – الروسية واستئناف الحرب (حملتي ١٨٠٩م–١٨١٠م الروسية)

خامسا – أوضاع الدولة العثمانية و روسيا خلال الحرب بين عامي ١٨١٠–١٨١١م

سادسا – نهاية الحرب وتوقيع معاهدة بوخارست في عام ١٨١٢م

أولا – نظرة على الأحداث والثورات في البلقان بين عامي ١٨٠٠م–١٨٠٥ م

في بداية القرن التاسع عشر كانت روسيا تمثل لوحدها بلد قاري كبير وتحتل أراضي واسعة من أوروبا الشرقية ، وشمال آسيا وقد بدأت روسيا تؤدي دورا قياديا على الساحة الدولية منذ مطلع القرن الثامن عشر والتاسع عشر إذ عملت بوضوح على اتجاهين في سياستها الخارجية :

أولهما باتجاه الشرق الأدنى – وكان هدفها هو السيطرة وتعزيز موقعها في القوقاز والبحر الأسود والبلقان .

وثانيهما في الجانب الأوروبي – إذ عملت روسيا على الاشتراك في الأحلاف الموجهة ضد فرنسا النابليونية.

تدهور الوضع في القوقاز في ثمانينيات وتسعينيات القرن الثامن عشر، عندما بدأت الدولة العثمانية والدولة القاجارية بالتوسع النشط والسريع وفرض سيادتهما على جورجيا ، وكانت أوضاع جورجيا الداخلية في تلك المدة تشهد تطورات كبيرة ، إذ اعتلى العرش الجورجي في عام ١٧٩٨م جيورجي الثاني عشر(هو آخر ملك كاثوليكي لشرق جورجيا) الذي طالب الحكومة الروسية بفرض الحماية بموجب امتيازات الحدود المبرمة معها فيما يتعلق بالشؤون الداخلية وفي الشؤون الخارجية على حد سواء، وفي عام ١٨٠٠م ، تم قبول هذا الطلب من قبل القيصر بافل الأول، (ولكن انضمام جورجيا الشرقية إلى روسيا تم في بداية عهد القيصر الكسندر الأول بموجب مرسوم أصدره في ٨ كانون الثاني ١٨٠١م) ، وفي عام ١٨٠٠م اقترح الإمبراطور بافل الأول خطة تقضي إلى تقسيم الدولة العثمانية وكان يعتقد بأنها غير قادرة على البقاء لمدة أطول ، أما روستوبجن (وزير خارجية روسيا) فقد كان يعتقد أنه من الأفضل أن تشارك في تقاسم الدولة العثمانية كل من النمسا وفرنسا حيث تحصل روسيا على مولدافيا وبلغاريا ورومانيا، وتأخذ النمسا والاشيا وصربيا والبوسنة أما فرنسا فإنها تحصل على مصر والبحر المتوسط مع الارخبيل و الجزر التي أصبحت جمهورية مستقلة فيما بعد مثل جمهورية قبرص ومالطا ، وقد أدت هذه الفوضى إلى قيام بعض السياسيين بمعارضة أي تقسيم للدولة العثمانية ومن بينهم سفير روسيا في القسطنطينية الكونت كوجوبي إذ كتب في عام ١٨٠٢م إلى الإمبراطور الكسندر الأول أن أسوأ شيء في الوقت الراهن هو تقسيم الدولة العثمانية ، وان الأفضل بالنسبة لنا إنقاذ حياتها إذ كان نص الرسالة

هو : " إن الأتراك هم الجيران الأكثر هدوءا ، وذلك لما فيه مصلحتنا على الأقل في الوقت الراهن ويجب الحفاظ عليها من التقسيم بغض النظر عن كونهم العدو التقليدي لنا " [١] .

كان من أوائل أعمال القيصر الكسندر الأول • الذي خلف والده القيصر بول أو بافل بيتروفيتش الأول (١٧٥٤-١٨٠١م) عند اعتلائه للعرش في عام ١٨٠١م هو استعادة العلاقات مع بريطانيا التي تضررت في عهد والده القيصر بافل الأول ، كما انه عمل على تجنب الدخول في صراع مع فرنسا، وقد دفع تحسن العلاقات الروسية مع كل من بريطانيا وفرنسا إلى قيام روسيا بتكثيف نشاطاتها في منطقة الشرق الأدنى لاسيما في منطقة القوقاز بشكل عام وجنوب القوقاز على وجه الخصوص ، وقد حفز تنامي النفوذ الروسي في الشرق الأدنى القوى الغربية الأخرى إلى محاولة زيادة نفوذها أيضا ، وكانت روسيا تهدف من خلال ذلك على الأغلب تأمين الحدود الجنوبية للبلاد كما ركزت في سياستها الخارجية على جذب شعوب القوقاز إلى جانبها ، إذ كانت هذه الشعوب تعاني من الهجمات المدمرة والمستمرة من قبل الدولة العثمانية والدولة القاجارية .[٢] .

كان القيصر الكسندر الأول خطواته مدروسة وأراد متابعة بداية جديدة سواء على الصعيد الخارجي والسياسة الداخلية ، ولكن مع بداية القرن التاسع عشر دفعت الظروف السياسة المختلفة روسيا إلى عدم تغيير سياستها ، فمنذ عام ١٨٠١م بدأت الشعوب المختلفة في شبه جزيرة البلقان بإثارة القلاقل والانتفاضات والثورات ضد الدولة العثمانية وأرادوا من خلال تلك الانتفاضات الحصول على المساعدة من روسيا وتذكير روسيا بالروابط الدينية والقبلية التي تربطها معهم وان تلك الروابط الدينية والقبلية تعد إشارة إلى بداية السياسة الخارجية الروسية بالتدخل في شؤون الدولة العثمانية ، وفي بيان رسمي من القيصر ألكسندر الأول في ١٢ أيلول ١٨٠١م حرم بكراتيدوف (جورجي من طبقة النبلاء) من العرش بسبب اعتراضه على قرار القيصر ، وأعطيت إدارة كارتلي وكاخيتي (أقاليم تقع في شرق جورجيا) إلى حاكم روسي، ، و في السنوات ١٨٠٣م-١٨٠٤م وفي ظل نفس الظروف السابقة دخلت بقية جورجيا –(منغريليا، غوريا وإيميريتي) تحت الحكم الروسي وكانت روسيا في ذلك الوقت قد حصلت على موقع استراتيجي هام لتعزيز موقفها في منطقة القوقاز وفي جنوب القوقاز بشكل خاص وكان ذلك له أهمية كبيرة ليس من الناحية الإستراتيجية فحسب بل فيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية التي أثمرت في عام ١٨١٤م إذ تم الانتهاء من إنشاء الطريق العسكري الجورجي،

الذي كان يربط جنوب القوقاز بالجانب الأوروبي الروسي ، وقد دفع انضمام جورجيا إلى روسيا كل من بلاد فارس والدولة العثمانية إلى تعزيز الموقف العدائي من تلك الدول تجاه روسيا أما بريطانيا فقد عملت على تغذية المؤامرات والدسائس وكانت تراقب بفارغ الصبر والقلق التقدم الذي أحرزته روسيا ، وفي نهاية ١٨٠٣م ارتفعت أصوات الصرب في صربيا الشرقية بطلب المساعدة من روسيا وقد تزعم هذه المطالب (ستراتيميروفيج) مطران النمسا وهو صربي الأصل ، وفي عام ١٨٠٤م بعث المطران إلى مدينة سان بطرسبروغ مذكرة تشير إلى تشابه الدين واللغة وطريقة حياة الصرب مع روسيا، وقدم للروس بعض الاقتراحات بشأن صربيا متمثلة بأشكال التحرير الذي تضمن بأنه من الممكن إبقاء أجزاء من صربيا تحت حكم الدولة العثمانية ، إلا أن الإدارة الداخلية لصربيا تكون مستقلة وتحت رعاية من روسيا ،كما حدث في عام ١٨٠٤م اندلاع الحرب بين روسيا وبلاد فارس وكان النصر حليف روسيا التي استطاعت بدورها من السيطرة على أجزاء واسعة من أذربيجان (جانجا، شيكي، شيروان، كاراباخ، دربند، غوبا وباكو خانات) و ضمها إلى روسيا [٣] .

كان من غير الممكن تحرير مختلف الجنسيات الصغيرة التي تقطن شبه جزيرة البلقان، مولدافيا والاشيا ، ولتحقيق ذلك الهدف عملت روسيا على تغذية التمردات وثورات القبائل في شبه جزيرة البلقان ضد الدولة العثمانية ، وبدورهم العثمانيون أرسلوا قوتهم إلى المناطق الثائرة وفي تلك الأثناء تدخلت روسيا ضد الدولة العثمانية ، وعندها بدأت الدولة العثمانية للتحضير لحرب مع روسيا(الحرب العثمانية – الروسية ١٨٠٦م –١٨١٢م)، وخسرت الحرب وحصلت القبائل الثائرة على الاستقلال الداخلي على أن تبقى تحت السلطة العليا للدولة العثمانية ، وفي هذه الحرب دمرت جميع المواثيق والولاءات السابقة وأصبحت واحدة من الحلقات في سلسلة الحروب بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية [٤].

ثانيا – أسباب الصراع بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية

إن الإجراءات النشطة لروسيا في منطقة جنوب القوقاز والتي أدت إلى انضمام جورجيا لروسيا إذ زعمت الدولة العثمانية إن ذلك العمل يعد واحدا من الأسباب التي أدت إلى الحرب العثمانية الروسية الجديدة، فضلا عن ذلك يمكننا تسليط الضوء على بعض الأسباب التي أدت إلى تدهور العلاقات بين روسيا والدولة العثمانية :

١– الدولة العثمانية كانت تريد الانتقام من الهزيمة التي منيت بها في الحرب العثمانية الروسية بين عامي ١٧٨٧م –١٧٩١م ، التي كانت نتيجتها انضمام جزيرة القرم وكوبان إلى روسيا .
٢– الدعم الذي قدمته روسيا للمنتفضين من الشعب الصربي من أجل الاستقلال الكامل ضد الدولة العثمانية .[٥] .

٣– كان من بين أهم أسباب الحرب الروسية – العثمانية ١٨٠٦–١٨١٢م هو رغبة روسيا في تعزيز مكانتها في الشرق الأوسط ، وإحداث اضطراب في الدولة العثمانية من خلال وضع خطط انتقامية ودعم المتمردين الصرب ضد السلطان العثماني ، وقد مرت تلك الحرب بدرجات متفاوتة من النجاح بالنسبة للروس وكانت بطبيعتها حرب طويلة الأمد [٦].

إن تعزيز نفوذ روسيا في جنوب القوقاز واجه مقاومة ليس من قبل السلطان العثماني فحسب ولكن أيضا من قبل الشاه القاجاري لذلك سعت الدولة العثمانية للحفاظ على موطئ قدم لها في جورجيا، وذلك تمهيدا للاستيلاء على منطقة القوقاز كله وشبه جزيرة القرم ، وكان وراء الدولة العثمانية في هذا الوقت فرنسا وقد بدا ذلك جليا أثناء الصراع حيث دفع نابليون بونابرت بقوة الدولة العثمانية للحرب مع روسيا وأدى إلى تدهور العلاقات بينهم ، ولاحت في الأفق بوادر الحرب التي بدأت رسميا في أواخر عام ١٨٠٥م ومطلع عام ١٨٠٦ م عندما قامت الدولة العثمانية بالانفراد في التفكير في ما يخص الحكم في مولدافيا و ولاشيا وتجاهلت المعاهدات والمواثيق السابقة مع روسيا ، علما ان مولدافيا و ولاشيا كانتا من الأقاليم التابعة للدولة العثمانية ، ، فضلا عن أن روسيا لم تتخذ أي إجراء عسكري واقتصرت إجراءاتها على نشر عدد كبير من الجنود على الحدود على أمل التوصل إلى تسوية سلمية مع الدولة العثمانية ، اما فيما يخص العلاقة بين الدولة العثمانية و نابليون بونابرت عشية الحرب فقد كانت غير واضحة [٧].

قرر السلطان العثماني سليم الثالث [٨] (١٧٦١–١٨٠٨ م) الاستعداد للحرب مع روسيا وذلك من خلال إيجاد ذريعة للحرب ، اذ رفض السلطان مرور السفن الحربية الروسية من خلال مضيق الدردنيل وخرق الاتفاقية فيما يتعلق بالحكم المشترك لمولدافيا و ولاشيا (رومانيا) وبمخالفة شروط الاتفاق استطاع السلطان استبدال اثنين من حكام مولدافيا و ولاشيا من دون علم القيصر الروسي ، وذلك الإجراء بحد ذاته يعد موقفا معاديا لروسيا بشكل واضح

وبالتالي أثار تدهور العلاقات بين البلدين ونتيجة لذلك في تشرين الأول من عام ١٨٠٦م بدأت الحرب والتي استمرت حتى أيار ١٨١٢م [٩] .

أما في عام ١٨٠٤م فقد كان هناك انتفاضة كبيرة في صربيا على الحكم العثماني تحت قيادة كارا جورج و خلال الانتفاضة أظهر كارا جورج نفسه على أنه سياسي محنك ورجل دولة ومحارب لا يعرف الخوف ، ففي مجال السياسة الخارجية كان يبحث عن الدعم من روسيا، والتي كانت تعد الحامية للسكان الأرثوذكس في الدولة العثمانية وفي الوقت نفسه قدمت روسيا مساعدات مالية وعسكرية للثائرين على السلطان العثماني خلال الحرب الروسية – العثمانية ١٨٠٦–١٨١٢ م وفي الوقت ذاته شن الصرب حربا على الحكم العثماني إلا انه كان يوجد في صربيا بعض المؤيدين للسلطان العثماني ومعارضين للاستقلال إلا أن القائد العسكري الصربي كارا جورج استطاع مواجهتهم وردعهم ، أما فيما يتعلق بالدولة العثمانية فقد حاول التقرب من فرنسا في عام ١٨٠٦م للحصول على تأييدها لبدء الحرب مع روسيا ، وذلك لان الدولة العثمانية كانت تعاني من أزمة سياسية داخلية حادة (تمرد الانكشارية وظهور محمد علي باشا في مصر ومحاولاته الاستقلال عن الدولة العثمانية وغيرها)، بالإضافة إلى ازدياد حركات التحرر الوطني لشعوب البلقان فسعت للحصول على مساندة فرنسا في هذه الحرب
(١٠))

كانت هناك مخاوف للدولة العثمانية من أن روسيا سوف تستخدم تلك الأوضاع الصعبة التي كانت تحيط بالدولة العثمانية لتوسيع نفوذها في البلقان مما دفع بالسلطان سليم الثالث إلى التقارب من نابليون الأول ، ففي صيف عام ١٨٠٦م وأثناء حرب التحالف الثلاثي (الذي كان يضم كل من بريطانيا وروسيا وبروسيا والسويد ضد الإمبراطورية الفرنسية الأولى)، تمكن الكونت سباستياني سفير نابليون الأول لدى الدولة العثمانية من إقناع العثمانيين بإلغاء جميع الامتيازات الخاصة الممنوحة لروسيا في عام ١٨٠٥م ، وحصر فتح مضايق الدردنيل والبوسفور أمام السفن الحربية الفرنسية وفي مقابل ذلك وعد نابليون بمساعدة السلطان على قمع التمرد في صربيا واستعادة المناطق التي فقدتها الدولة العثمانية ، ففي ١٢ آب ١٨٠٦م قام السلطان سليم الثالث ومن دون الحصول على موافقة روسيا ، بخلع حكام مولدافيا و ولاشيا (الكسندر موروزي و وقسطنطين إبسيلانتي) ومنع أيضا مرور السفن الروسية عبر مضيق

البوسفور والدردنيل كما تم رفض الاحتجاجات الروسية والبريطانية ، وكانت تلك الإجراءات قد اتخذتها روسيا ذريعة لغزو الأراضي التابعة للدولة العثمانية ((١١).

ثالثا – حملة عام ١٨٠٧م والتحالف الروسي – البريطاني

و في يوم ١١ تشرين الثاني من عام ١٨٠٦م ومن دون سابق إنذار لإعلان الحرب، دخل جنرال الجيش الروسي ايفان ايفانوفيتش ميخلسون الى مولدوفا وفي ١٥ تشرين الثاني عبرت القوات الروسية من خلال نهر دنيستر(ينبع من أوكرانيا قرب الحدود مع بولندا) واحتلت خوتين وفي نهاية ديسمبر احتلت بعض من إمارات الدانوب وأحكمت السيطرة على كل الحصون على الضفة اليسرى لنهر الدانوب وهي : جاسي، بندر، اكيرمان، جالاتي، كيلي، ووصلت إلى نهر الدانوب، ونظرا لعدم وجود القوات الروسية الكافية فقد فشلت في احتلال بقية حصون العثمانيين المتبقية كـــ: برايلوف، غيورغيو (جيورجيو)، واحكم الجيش الروسي بالفعل سيطرته على مولدافيا و ولاشيا اواخر عام ١٨٠٦م وقد عدت الدولة العثمانية هذا العمل انتهاكا للاتفاقيات الروسية–العثمانية السابقة ونتيجة لذلك أعلن السلطان سليم الثالث الحرب على روسيا في ١٨ كانون الأول ١٨٠٦م ، وبدأت القوات العثمانية بقيادة الصدر الأعظم إسماعيل بمحاصرة فيلق الجنرال ميندروفا حتى نهاية تموز ١٨٠٧م وفي الوقت نفسه قام الجيش العثماني بالتحشد على عجل في منطقة شوملي، اما باشا البوسنة فقد قام بأعمال الشغب في بلغراد وفي ١٣ كانون الأول تم طرد العثمانيين من بلغراد واستطاع فصيل الجنرال ميلورادوفج من التوجه إلى جورجيو، وكانت تشكيلات الجيش العثماني تتقدم بشكل بطيئ، وكان من المستحيل أن تستخدم روسيا قواتها الأساسية في هذه الحرب وذلك لان في بداية عام ١٨٠٧ خاضت القوات الروسية الرئيسية حربا ضد الفرنسيين في بروسيا ، وبالتالي فإن عدد جيش ميخلسون ، وذلك حسب مصادر وبيانات كثيرة منشورة مختلفة تؤكد بأنه لم يكن بمعيته سوى ٣٥–٤٠ ألف جندي روسي مقابل ٢٠٠ ألف جندي من الإنكشارية ومع هذه القوى المحدودة كان على ميخلسون أن يتصرف بحذر على جبهة الدانوب التي تمتد للاف الكيلومترات كما ان ميخلسون وجد نفسه في مشكلة دفاعية رئيسية – إذ قام بوضع قواته في فصل الشتاء في إمارات الدانوب وذلك للحفاظ على المناطق التي احتلها في الضفة اليسرى لنهر الدانوب(١٢).

أما في مجال دعم روسيا التحقت حليفتها بريطانيا بالحرب إذ حاول السفير البريطاني إلى استغلال الأوضاع الصعبة للدولة العثمانية وإخضاعها باستخدام نفوذ بلاده، وإذا أمكن احتلال القسطنطينية والمضايق وتحقيقا لهذه الغاية دخل الأسطول البريطاني بقيادة الأدميرال ديكوروت في نهاية كانون الثاني ١٨٠٧م عبر مضيق الدردنيل ودخل بحر مرمرة إذ طلب البريطانيين من السلطان السماح للبحرية البريطانية من اجتياز حصون الدردنيل ووجوب كسر التحالف مع نابليون الأول وان تعترف الدولة العثمانية بالاحتلال الروسي على إمارات الدانوب ، رفض الأتراك الامتثال لشروط الإنذار وعملوا على زيادة التحصينات الساحلية على عجل وفي أواخر شباط ١٨٠٧ م اضطر الأدميرال دي كورت بعد أن تمت محاصرته من قبل العثمانيين على الفرار من مضيق الدردنيل وعانت قواته كثيرا أثناء الانسحاب وتلقى الأسطول البريطاني خسائر فادحة من قبل نيران المدفعية العثمانية وبذلك فتحت جبهة للعثمانيين ضد بريطانيا العظمى التي سميت (الحرب الأنجلو–عثمانية ١٨٠٧–١٨٠٩م)، كما عمل الباب العالي على الدخول في تحالف مع فرنسا وأخذت الأحداث العسكرية الرئيسية تنشط بشكل واسع في البحر وفي آسيا في ربيع عام ١٨٠٧م تم تعيين سنيافين قائدا للعمليات الهجومية لأسطول البحر الأسود وأسطول القوات الروسية المتمركزة في جورجيا وقد حاصر سنيافين أسطول مضيق الدردنيل وهزم الأسطول العثماني في مضيق الدردنيل يومي ١٠–١١ أيار كما حدثت في افونسك في ١٩ حزيران ١٨٠٧ معركة كبيرة أيضا [١٣] .

كان الأسطول الروسي في البحر المتوسط تحت قيادة الأميرال سنيافين في عام ١٨٠٧ م وكان يتكون من (١٠ بوارج و ١ فرقاطة مع ٧٥٤ بندقية) خرجت من قاعدتها في جزر البحر الأيوني (هو أحد أفرع البحر المتوسط ويتصل من شماله بالبحر الأدرياتيكي) متجهة إلى مضيق الدردنيل وفي يوم ٦ آذار ١٨٠٧ حاصر الأسطول مضيق الدردنيل واستطاع احتلال جزيرة تينيدوس ، التي أدى احتلالها وحصار مضيق الدردنيل إلى إحداث نقص في المواد الغذائية في استانبول وقد تسبب بالجوع والسخط لسكانها، وبعد شهرين من الحصار قام الأسطول العثماني تحت قيادة سيد علي وكان يتكون من (٨ بوارج و ٦ فرقاطات و١سفينة شراعية و ٥٥ سفينة صغيرة) خرج في يوم ١٠ أيار من المضيق، وحاول كسر الحصار لكن سنيافين، حاول صرف العدو عن المضيق والقوات الساحلية وانتقل إلى جزيرة ايمبورس وفي اليوم التالي عاد سنيافين إلى تينيدوس، حيث علم عن هجوم فاشل للقلعة على الجزيرة وكشف عن موقع الأسطول العثماني في جزر المورة ، حاول سنيافين إجبار العثمانيين لخوض

معركة لكن العثمانيين ذهبوا إلى مضيق الدردنيل وفي الساعة ٦ مساء، قامت السفن الحربية الروسية بمحاربة العثمانيين وكان الأسطول الروسي أقل عددا مقارنة بالعثمانيين لكنه ناور بمهارة جيدة وذلك باستخدام كل المدافع التي على متنه واستمرت المعركة حتى وقت متأخر من الليل وقد تمكنت القوات الروسية من إلحاق أضرار بالغة بثلاثة من السفن العثمانية إذ بقيت عالقة في المياه الضحلة على الشواطئ الآسيوية بينما تراجعت بقية القوة إلى مضيق الدردنيل وبقيت السفن الروسية راسية في المضيق و في فجر يوم ١٢ أيار بدأت القوارب العثمانية بسحب السفن التالفة من المضيق وفي هذه الأثناء قامت أربع سفن وفرقاطة واحدة روسية بمهاجمة العثمانيين وكان نتيجة هذا الهجوم تدمير سفينة عثمانية واحدة حيث بقيت متروكة في مضيق الدردنيل، واثنتين اخرتين جرفتا إلى الشاطئ وفي نفس اليوم عاد سنيافين إلى مواضعه الأصلية وفرض مرة أخرى حصارا على المضيق وهكذا انتهت معركة الدردنيل، والتي أسفرت عن تدمير ٣ سفن عثمانية وبلغت الخسائر في الأفراد ٢٠٠٠ جندي عثماني وفي الوقت نفسه كان هناك استياء متزايد من قبل السكان في استانبول أدى إلى انقلاب أطيح على أثره بالسلطان سليم الثالث عام ١٨٠٨ م وجاء الى السلطة من بعده السلطان مصطفى الرابع[١٤] (١٧٧٩–١٨٠٨ م) حيث اعدم في أواخر عام ١٨٠٨ م ، وعلى الرغم من النكسات المتتالية ، فقد وضعت حكومة الباب العالي العثمانية منهج لقائد ألأسطول وهو تجنب اي معركة مع ألأسطول الروسي وأنزلت قواتها على جزيرة تينيدوس، لكي تحرم القاعدة البحرية الروسية من وصول المساعدات والإمدادات وفي ١٠ حزيران كان الأسطول العثماني يتكون من ١٠ سفن و ٥ فرقاطات واثنين من المراكب و ٣ من السفن الشراعية مع إنزال ٦٠٠٠ جندي على متن جزيرة ايمبورس لتعزيز موقفها[١٥].

قرر سنيافين في ١٥ حزيران ١٨٠٧م الاستفادة من الظروف الجوية واستطاع بالفعل من احتلال موقعا جيدا بين الجزيرة والساحل الأوروبي وأصبح بالتالي في مكان يقع بين العثمانيين والمضيق وفي ١٦ حزيران وتحت غطاء من المدفعية البحرية للأتراك تمكنت القوات العثمانية من إنزال قواتها بالقرب من القلعة وبدأوا في اقتحام القلعة حيث هرع سنيافين لمساعدة جنود الأسطول المقيمين في القلعة وكان الأسطول العثماني يخشى من معركة مباشرة مع الأسطول البحري الروسي ، لذلك توجه إلى الجنوب الغربي أما سنيافين فقد وصل عند الظهيرة تقريبا من يوم ١٧ حزيران إلى تينيدوس لتزويد القلعة بالذخائر واستطاع تدمير السفن العثمانية الصغيرة التي تعتمد على التجديف، وفي صباح يوم ١٨ حزيران نزل

أسطول سنيافين إلى البحر وبقي الى المساء قبالة جزيرة ايمبورس وكان الهدف من ذلك هو قطع الطريق على العثمانيين في مضيق الدردنيل ، والاستعداد لمعركة حاسمة ، وفي فجر يوم ١٩ حزيران وجدت السفن الروسية ان السفن العثمانية ليست بعيدة عن جزيرة ليمنوس وفي الساعة ٥:٠٠ صباحا بدأت المعركة وكانت هنالك تقديرات صحيحة لقوة الجيش العثماني ، فقد وجه سنيافين ضربة كبيرة لقادة البحرية العثمانية ،وكانت القوات الروسية متفوقة عدديا على القوات العثمانية إذ كانت (٦ سفن حربية روسية إلى جانب ٣ سفن للعثمانيين) وكان الهجوم مركزا بسفينتين للروس مقابل واحدة للعثمانيين ، وكان ميزان القوى على النحو التالي في المعركة : القوات الروسية – ١٠ البوارج مع ٧٤٠ من البنادق، والأتراك – ١٠ البوارج و ٥ فرقاطات وخمس سفن صغيرة وسفينتين شراعيتين ،وعدد البنادق ١٢١٤ وكان الأسطول الروسي من حيث عدد السفن وعدد البنادق هو اقل إلى حد كبير بالمقارنة مع العثمانيين ولكن نوعية التدريب والقيادة الحكيمة والشجاعة التي تحلى بها أفراد الأسطول الروسي كانت أعلى بكثير من الجانب العثماني و كان هدف روسيا هو العمل على الاقتراب أكثر من العثمانيين فكان كل سفينتين من السفن الروسية يتجه إلى سفينة عثمانية محددة الأهداف المعينة لها ، وكان لا يمكن لأي قائد او أي فرقة القيام بهذه المناورة إلا إذا كانت فرق مدربة تدريبا عاليا يمكنهم تنفيذ هذه المناورة الصعبة والتي كانت تجري على مقربة من مدفعية الجيش العثماني وتحت نيرانه إذ قامت البارجة الروسية المعروفة بـــ"الصلبة " بتحطيم الفرقاطة العثمانية ، ثم في اليوم التالي تم ضرب خطوط السفن، وأجبروها على تغيير مسارها ، والذي بدوره أوقف حركة الأسطول و السفن العثمانية بأكمله وخلال المعركة تم تحطيم السفن العثمانية وبعضهم بالكاد بقى عائما ومن بين السفن الروسية التي تضررت " رافائيل"، و"الصلبة"، و"القوية" و " السريعة " ، وفي الساعة ١٠:٠٠ صباحا من يوم ٢٠ حزيران ١٨٠٧م اضطرت السفن العثمانية المتضررة إلى التراجع في حالة من الفوضى نحو مناطق آمنة في البحر قريبة من جبال آثوس (التي يبلغ ارتفاعها ٢٠٣٣ م كما يطلق اسم آثوس على شبه جزيرة في مقدونيا اليونانية وفي الشمال الشرقي من اليونان والمعروفة أيضا باسم "الجبل المقدس" الذي يقع على بحر ايجة) ، وفي الساعة الواحدة ظهرا تغير اتجاه الرياح وبدأت تهب من الغرب وأصبح الأسطول العثماني في مهب الريح وسرعان ما بدأ في الابتعاد عن السفن الروسية الى الشمال، أما سنيافين أمر "أوريل" و «سيلافيلا» (قادة الأسطول الروسي) للذهاب إلى مطاردة الأسطول العثماني التي استمرت أكثر من يوم واحد ، أما الفارين العثمانيين من

المعركة قاموا بإحراق ثلاثة من سفنهم التالفة وفي فجر يوم ٢٢ حزيران تم رصد عمودين آخرين من الدخان و فيما بعد اتضح أن العثمانيين احرقوا سفينة أخرى وفرقاطة اللتان لم يتمكنوا من سحبها مع بقية سفن الأسطول العثماني وغرقت هاتان الفرقاطتين العثمانيتين بالقرب من جزيرة ساموفراكي ، وكانت نتيجة معركة آثوس هي فقدان الأسطول العثماني ٣ سفن حربية و ٤ فرقاطات وسفينة شراعية واحدة ، وكانت الخسائر كبيرة جدا في عدد الجنود إذ قتل على البارجة العثمانية المسماة "السرج البحري" ٢٣٠ جندي وجرح ١٦٠ جندي ، وتم اسر ٧٧٤ جندي عثماني من قبل روسيا أما على الجانب الروسي فلم تفقد أي سفينة حربية روسية [١٦].

توجه سنيافين بعد المعركة لإنقاذ قاعدة – تينيدوس، واستطاع محاصرة العثمانيين ووقعوا بين نارين – نيران القلعة ونيران السفن– الحربية الروسية حيث عرض سنيافين على العثمانيين الاستسلام وقد وافق العثمانيين فعلا وتم في يوم ٢٨ حزيران نقل ٥٠٠٠ جندي عثماني إلى الشاطئ، وتم تسليم جميع الأسلحة والبنادق للجيش الروسي ودخل الأسطول العثماني في يوم ٢٦ حزيران ١٨٠٧م إلى مضيق الدردنيل ولم يخرج ثانية من المضيق[١٧]، وقد أثبتت معركة آثوس تفوق القوة البحرية الروسية وأصبح لها السيادة على البحر.

شن الأسطول الروسي في مطلع صيف عام ١٨٠٧م حملة عسكرية ناجحة على الأسطول العثماني ، أما القيادة العثمانية فقد خططت للاستيلاء على بوخارست وتحقيقا لهذه الغاية تحركت إلى بوخارست اثنين من القوات العثمانية الكبرى (القوة الأولى كانت تبلغ ٤٠٠٠٠ ألف جندي أما القوة الثانية فقد بلغت ١٣٠٠٠ ألف جندي) في ذلك الوقت كان في بوخارست فرقة عسكرية روسية قوية تتألف من٤٥٠٠ جندي روسي بقيادة الجنرال ميلارادوفج من دون انتظار لتقدم وحدات القوات العثمانية دخل ميلورادوفج معركة ضد ١٣٠٠٠ ألف جندي عثماني تحت قيادة مصطفى باشا ، وفي ٢ حزيران ١٨٠٧م هاجم ميلورادوفج القوات العثمانية بالقرب من مستعمرة اوبيليشتي وألحق هزيمة ثقيلة بالعثمانيين إذ خسر العثمانيين في هذه المعركة ٣٠٠٠ شخص أما القوات الروسية فقد خسرت – ٣٠٠ شخص، إن الهزيمة في مستعمرة اوبيليشتي أجبرت الجيش العثماني على التخلي عن الهجوم على بوخارست وتحرك عبر نهر الدانوب وكان هذا أكبر انتصار للجيش الروسي في حملة عام ١٨٠٧م ، في نفس الوقت وعلى مسرح عمليات الحرب في القوقاز وعلى ضفاف نهر ارباجاي (أرمينيا) في يوم ١٨ حزيران ١٨٠٧م كان هناك معركة بين الجيش العثماني تحت قيادة يوسف باشا

الذي كانت تحت إمرته (٢٠٠٠٠ ألف جندي) وبين القوات الروسية تحت قيادة الجنرال كودوفيج (٧٠٠٠ جندي) ، حيث هجم كودوفيج على العثمانيين من ثلاثة محاور هي كارا وبوتي وأخالكالاكي ومع ذلك فقد أدى انتشار قواته حقيقة إلى ضعف الهجوم الروسي وانعكس ذلك سلبا على الجيش الروسي عندها شن العثمانيين هجوما مضادا إلا أن كودوفيج تمكن من جمع قواته واتجه بهم إلى منطقة نهر ارباجاي، حيث التقى الجيشان هنالك وعلى الرغم من تفوق جيش يوسف باشا العددي بثلاثة أضعاف، لكن الأتراك هزموا وتراجعوا، وقد أدى الانتصار الروسي في ارباجاي إلى أن يحصل كودوفيج على تكريم من قبل القيصر وترفع إلى رتبة مهيب ، وهكذا في حزيران ١٨٠٧م عانت الدولة العثمانية هزيمة ثقيلة في كل الجبهات في اليابسة والبحر ، وكانت هذه الهزائم ناتجة عن تردي الأوضاع السياسية الداخلية للدولة العثمانية التي كان سببها تمرد وعصيان الانكشارية والمؤامرات على السلطان العثماني والتي انعكست بدورها سلبا على الهزائم التي منيت بها القوات العثمانية في ساحات الحرب [١٨]

رابعا – فشل المحادثات العثمانية –الروسية واستئناف الحرب (حملتي ١٨٠٩م–١٨١٠م الروسية)

خابت آمال السلطان مصطفى الرابع في تموز ١٨٠٧م بمساندة فرنسا له خصوصا بعد توقيع معاهدة تيلست بين روسيا وفرنسا في مما اضطر السلطان على توقيع هدنة سلوبوزيا في ١٢ آب ١٨٠٧ م مع روسيا بوساطة فرنسية وقد تضمنت تلك الهدنة تنازل الدولة العثمانية عن إمارات الدانوب ، والاعتراف بالحماية والوصاية الروسية على جورجيا،و مينغريلي وإيميريتي والعمل على استقلال صربيا تحت الوصاية او الرعاية الروسية – العثمانية المشتركة وبموجب شروط الهدنة تلقى الأسطول الروسي أمرا بوقف الأعمال الحربية، واجتياز الجزر الأيونية والدلماسية ويجب على الدولة العثمانية إعادة جزيرة تينيدوس إلى روسيا ويتراجع الجيش العثماني إلى منطقة أدرنة كما ويتعهد السلطان بعدم التدخل في شؤون إمارات الدانوب كما ويتعهد بوقف العمليات العسكرية في صربيا ، ومع ذلك كان القيصر الكسندر الأول غير راض عن بنود الهدنة وتذمر من انسحاب القوات الروسية من مولدوفا والاشيا ، ولقد كان لإنهاء الحرب مع فرنسا دور كبير ساعد روسيا على إعادة انتشار

القوات الروسية على نهر الدانوب إذ وصل عددها ما يقارب ٨٠ ألف مقاتل وكان يقود هذه الجحافل الكبيرة رجل يبلغ من العمر ٧٦ عاما وهو المهيب الكسندر الكسندروفيج برزوروفسكي ، كما عقدت في عام ١٨٠٨ م محادثات روسية– عثمانية – وقد استمرت الهدنة من ١٢ آب ١٨٠٧م إلى ٣ آذار ١٨٠٩م – وقد عقدت هذه المحادثات في باريس في إطار رعاية ووساطة نابليون وعرضت روسيا خلال المحادثات، مطالبها على الباب العالي لكن تم تعليق المحادثات بعد رحيل نابليون إلى أسبانيا واستؤنفت بعد الانقلاب الذي حصل على السلطان مصطفى الرابع عام ١٨٠٨ م في الدولة العثمانية لكن السلطان الجديد محمود الثاني (١٨٠٨م – ١٨٣٩م) رفض الموافقة على مطالب روسيا وأعطى أوامره للجيش للاستعداد للحرب وتم استئناف العمليات الحربية في آذار ١٨٠٩م ولكن بدون دعم لروسيا من بريطانيا التي دخلت في تحالف مع الدولة العثمانية ، وفي يوم ١٢ آذار ١٨٠٩م وصل إلى مدينة سانت بطرسبرغ مرسوم يتضمن إعلان الحرب على روسيا ، وقد صدرت الأوامر إلى الجيش الروسي المرابط في مولدوفيا منذ عام ١٨٠٨م بالتوجه صوب نهر الدانوب واستطاعت واجتيازه ، وبدأ بغزو القلاع العثمانية على الضفة اليسرى لنهر الدانوب ومع ذلك فانه كان غير قادر على احتلال قلعة جورجبو ولا قلعة برايلا وفي هذه الأثناء طالب القيصر الكسندر الأول باتخاذ إجراءات حاسمة لحسم المعركة ولكن المهيب بروزوروفسكي (قائد عام الجيش الروسي وعضو مجلس الشيوخ) الرجل الكبير في السن والمريض ادعى بوجود العديد من الأسباب المختلفة التي لا تسمح له بالهجوم حتى الخريف ، وفي يوم ٣٠ تموز ١٨٠٩م تولى الجنرال قائد المشاة بيتر ايفانوفيج بكراتيون قيادة الجيش وذلك بعد وفاة بروزوروفسكي ، وقام بعمل تكتيكات هجومية نشطة وقام فيلق اللفتنانت بقيادة الجنرال زاسا بعبو نهر الدانوب تجاه جالاتي دون إطلاق رصاصة واحدة، وسيطر على ايساكجي و تولجي فيما تقدمت طلائع الجيش بقيادة بلاتوفا ودخلت باباداغ، ومن ثم تحركت القوات الرئيسية تجاه الضفة اليمنى لنهر الدانوب ، أما بكراتيون فقد انتهز الفرصة واخذ بفرض حصار على قلعة سلساري في ١٨ أيلول ، أما قوات الجنرالات ماركوف وبلاتوفا استولت على ماشين وكيرسوف ، كما حاولت قوات كبيرة عثمانية (تصل إلى ٤٠ ألف شخص) بغزو والاشيا والسيطرة على بوخارست مما سيجعل بكراتيون يضطر للتراجع الى الضفة اليسرى لنهر الدانوب لكنها فشلت بتحقيق أهدافها ، أما في النصف الثاني من آب ١٨٠٩م بدأ الصدر الأعظم يوسف باشا بنقل قواته إلى جورجي ، وبمقابل قوات يوسف باشا التحق كل من

الجنرال لانجيرون والجنرال ايسينا من الجانب الروسي وفي ٢٩ آب عند قرية فراسين التي تبعد ٩ أميال عن جورجي هاجموا طليعة الجيش العثماني والحقوا به خسائر فادحة ، وبفضل قوة وحيوية بكراتيون اضطر الجيش العثماني الى تفريق قواته ونشرها على أجزاء كبيرة وواسعة من الأراضي – من صربيا إلى ميناء فارنا، وقد واصلت القوات الروسية هجومها ففي يوم ٤ أيلول ضربت القوات الروسية عند راسيفيتا فيلق خضر باشا واستسلمت قلعة اسماعيل لقوة زاسا لكن عدم توفر المؤن ، والملابس، و وانتشار الأمراض، بالإضافة الى المخاوف الروسية من الهجوم الأنجلو– عثماني على جانب فارنا جعلت قائد حصار سيليستر يلتمس من القيصر في سان بطرسبروغ الحصول على إذن لسحب الجيش إلى الضفة اليسرى لنهر الدانوب واعدا القيصر بأنه في أوائل الربيع سوف تعبر قواته مرة أخرى نهر الدانوب وتذهب مباشرة إلى منطقة البلقان ،وكان العمل العسكري الأخير في ١٨٠٩م هو حصار قلعة برايلا التى استسلمت في ٢١ تشرين الثاني ، أما القيصر الكسندر الأول فقد كان مستاء للغاية من الإجراءات العقيمة للجيش،لكنه وافق على طلب بكراتين على شرط أن تبقى قوته محتلة لـــــــــ (ماشين، تولجا وكيروسوف) على الضفة اليمنى لنهر الدانوب وفي هذا العام سيطرت القوات الروسية على بعض الحصون من الضفة اليسرى لنهر الدانوب وهم كل من – تولسيا، ايساكجي، إسماعيل وبرايلا ، أما فيما يتعلق بالقوقاز ففي ١٨٠٨–١٨٠٩م اتخذت القضية منعطفا : إذ أن السكان المحليين، وبدعم من بعض الوكلاء الفرس والعثمانيين قاموا بإثارة الاضطرابات في إيميريتي وساندهم قيصر ايمرتي سولومون او (سليمان) الثاني(الذي كان قد اجبره الروس على التوقيع على اتفاق بشأن الحماية الروسية على إيميريتي في يوم ٢٥ نيسان ١٨٠٤م) وقاموا بالتمرد ضد روسيا ،اما الفرس و بتحريض من بريطانيا لم يوافقوا على أن الموقع المقترح لإنهاء التمرد وطلبوا ان تكون حدودهم إلى جورجيا ، وفي محاولة للسيطرة عليها حيث قاموا بالهجوم على ايريفان ، لكن كودوفيج في ١٧ تشرين الثاني ١٨٠٨م استطاع صدهم وكبدهم خسائر فادحة ، كما قامت القوات الفارسية بغزو جورجيا عدة مرات لكنها هزمت و في بداية عام ١٨٠٩م استطاع القائد تورماسوف الذي حل محل كودوفيج تهديد القوات الفارسية والقوات العثمانية التي شعرت بنفس الخطر او التهديد ، وتم إحباط كل المحاولات الفارسية للسيطرة على الأراضي الروسية ، بعد ذلك جرت معركة على نهر شمخور والتي انتهت بهزيمة الفرس، واضطر هذا الأخير للتفاوض على السلام ، تورماسوف أرسل مفرزة بصحبة الأمير دي زيت اوربيلياني للاستيلاء على قلعة بوتي التي كانت بمثابة

حلقة وصل بين العثمانيين و أبخازيا وإيميريتي وقد تم السيطرة على ميناء بوتي في ٢٥ تشرين الثاني ١٨٠٩م وأرسلت مفرزة أخرى الى إيميريتي حيث تم الاستيلاء عليها وتم اسر ملكها سولومون او (سليمان)، كما اقسم سكانها بالولاء لروسيا ،والى قلعة أنابا التي كانت محصنة من قبل العثمانيين تم إرسال أسطول من سيفاستوبول ومعه قوات كبيرة حيث استسلمت حامية القلعة للقوات الروسية في ١٥ تموز ١٨١٠م وتم قمع الحركة المناهضة لروسيا في أبخازيا وإيميريتي [١٩].

تم تعيين قائد عام جديد للجيش الروسي في عام ١٨١٠م بدلا عن باكراتيون وهو الجنرال الشاب نيكولاي ميخايلوفيج كامنسكي الثاني الذي تميز في الحرب ضد السويد وفي بداية آذار ١٨١٠م بلغ عدد جيش الدانوب ما يقارب ٧٨ ألف شخص ، وكانت خطة القائد الجديد كامنسكي تهدف للعمل على استغلال تواجد القوات العثمانية الرئيسية في صربيا حيث يجب إلحاق الهزيمة بالقوات العثمانية في شمال بلغاريا قبل وصول تعزيزات اليها ، وفي أيار ١٨١٠م قام كامنسكي الثاني مع شقيقه كامنسكي الأول بعبور نهر الدانوب عند جيرسوفا بصحبته ٢٥٠٠٠ جندي متجهين إلى سيليسترا وكانت قوات كامنسكي الأول تتكون من ١٨٠٠٠ جندي من أفراد الفرقة توجهوا جنوبا إلى بزارجيك، لقطع الطريق على القوات العثمانية التي كانت تحاول إنقاذ سيليستر ، اما سلاح المشاة بقيادة زاسا و لانجيرون تحركت على عجل من مدينة تورتوكاي الى روشوك وسيليستر ، بينما كانت القوى الرئيسية العثمانية تقدر بنصف القوات المحاصرة للحصون،بينما توجهت كتيبة اللواء اساييف إلى صربيا لحماية سكان البلاد بالإضافة الى كونها بمثابة غطاء لولاشيا التي بقيت فيها مفرزة واحدة فقط وكانت بقيادة الميجر جنرال إغور جافريلوفيتش تسوكوتا ،وكان الجيش العثماني غير مستعد للحرب، لذلك سارع كامنسكي الثاني للاستفادة من هذا الخلل ، وفي يوم ١٩ أيار ١٨١٠م استولى زاسا على تورتوكاي وفي يوم ٢٢ أيار ١٨١٠م وبالقرب من بزارجيك وقعت معركة بين قوات الجنرال كامنسكي الأول والفيلق العثماني الذي كان بقيادة بيليفان باشا المكون من (١٠ ألف شخص) وقد عانى العثمانيين هزيمة قاسية واضطروا إلى التراجع والتخلي عن بزارجيك وقد بلغت الخسائر الروسية ١٦٠٠ شخص أما العثمانيين فقد خسروا ٥٠٠٠ شخصا من بينهم ٢٠٠٠ أسير ،وقد قرر هذا النجاح الروسي مصير سيليسترا ، ففي ٣٠ أيار حاصرت حاميتها فيلق لانجيرون واجبرته على الاستسلام ، وفي يوم ١ حزيران سقطت رازغراد واحتلت القوات الروسية المتقدمة بالشيك و خط فارنا – شوملا ولكسب الوقت اقترح

الصدر الأعظم على الروس وضع هدنة ، لكن طلبه رفض ، وبعد السيطرة على سيليستر حدث هجوم على شومال في ١١ حزيران وبعد معركة شرسة استمرت لمدة يومين عملت القوات الروسية على فرض حصار على القوات العثمانية ، أما في تموز فقد كان كامنسكي الثاني خائفا من هجوم القوات العثمانية الكبرى من جهة فارنا فاضطر الى رفع الحصار وقاد قواته إلى الشمال تجاه روشوك وفي ٢٢ تموز ١٨١٠م اقتحم كامنسكي روشوك ولكن الهجوم اختلف في هذه المواجهة وكان أكبر شراسة وسفكت فيه دماء كثيرة وبذلك انتهت محاولات العثمانيين بالفشل الكامل وقد بلغت عدد القوات العثمانية المهاجمة ١٧ ألف جندي لكنهم لم يستطيعوا السيطرة على القلعة وقد سقط تحت جدرانها أكثر من نصف عدد الجنود المهاجمين العثمانيين ، وفي هذه المرحلة توقف تقدم الجيش الروسي على جميع الجبهات وكان يحتاج في كل الأماكن المتواجد بها إلى تعزيزات التي لم تكن متوفرة وتحتاج الى وقت لجلبها وفي هذه الأوقات ولحين وصول التعزيزات قرر القائد على سحب كل قواته والتوجه الى روشوك بهدف السيطرة على هذه القلعة والاحتماء بها على إن يكون التحرك عبر طيرنوف إلى البلقان اما فيلق كامنسكي الأول بقي لمراقبة شوملا وفارنا ، وعندما اقتربت القوى الرئيسية الروسية من روشوك اتحدت في يوم ٩ تموز مع قوات فيلق زاسا ، و في يوم ٢٢ تموز وبعد قصف لمدة ١٠ أيام تم القيام بهجوم واسع استطاع الأتراك ان يصده ، وكانت الخسائر الروسية ضخمة جدا حاول الأتراك عدة مرات مهاجمة الجانب الأيسر بالقرب من شوملي واستطاعت القوات العثمانية من هزم كامنسكي الأول بشكل تام وبعد ذلك قام القائد العام للجيش الروسي بأصدر أمر إلى كامنسكي الأول بالانسحاب إلى خط رمح ترايان وتدمير وإتلاف كل التعزيزات في بزارجيك، ماجينا، تولجي، ايساكجي، والالتحاق بمفرزة لانجيرون، وترك رازغراد والانضمام إلى قوات الجيش الرئيسي ، اما روشوك فقد بقيت تحت الحصار وفي أوائل آب ١٨١٠م تحركت القوات العثمانية وشنت هجوما باتجاهين لإنقاذ قلعة روشوك ومحاصرة كامنسكي إلا أن القائد العام لم ينتظر فاضطر إلى الالتحام مع القوات العثمانية وقاد جيشه المؤلف من ٢١٠٠٠ ألف جندي وكان الجيش يتقدم بثبات ، و في ٢٦ آب وفي منطقة باتين مني العثانيين بهزيمة ساحقة وبلغت الخسائر الروسية ١٤٠٠ شخص أما الأتراك فقد خسروا ١٠٠٠٠ آلاف شخص بين قتيل وجريح وأسير [٢٠] .

كان انتصار الروس في باتين له تأثير حاسم على مسار حملة ١٨١٠م وبعد هذه المعركة توقفت العمليات الهجومية العثمانية وتم تقرير مصير روشوك ففي يوم ١٥ أيلول

١٨١٠ عندما فقدت حامية روشوك الأمل من وصول مساعدات خارجية اضطروا للاستسلام ، وبحلول نهاية العام استطاع كامنسكي من تحرير الجزء الشمالي من بلغاريا من أيدي العثمانيين ، واحتل الحصون العثمانية القريبة من الحدود الصربية ودمر طرق الإمدادات العثمانية في : بليفين، نيكوبول ،لوفجي، سيلفي، سيستوف، بيلو، طيرنوف واورسوف، ، إلا أن كامنسكي لم يجرؤ على التحرك من هذه المناطق الى منطقة البلقان بسبب نقص المؤن وبرودة الطقس ،أما على جبهة القوقاز، ففي أيلول ١٨١٠م استطاع تروماسوف من صد الهجوم الذي شنه الأتراك والفرس على تيفليس (تبليسي) كما تمكن الأسطول الروسي من الاستيلاء على سوخومي و كالي [٢١]

وأدناه خارطة توضيحية لسير المعارك [٢٢].

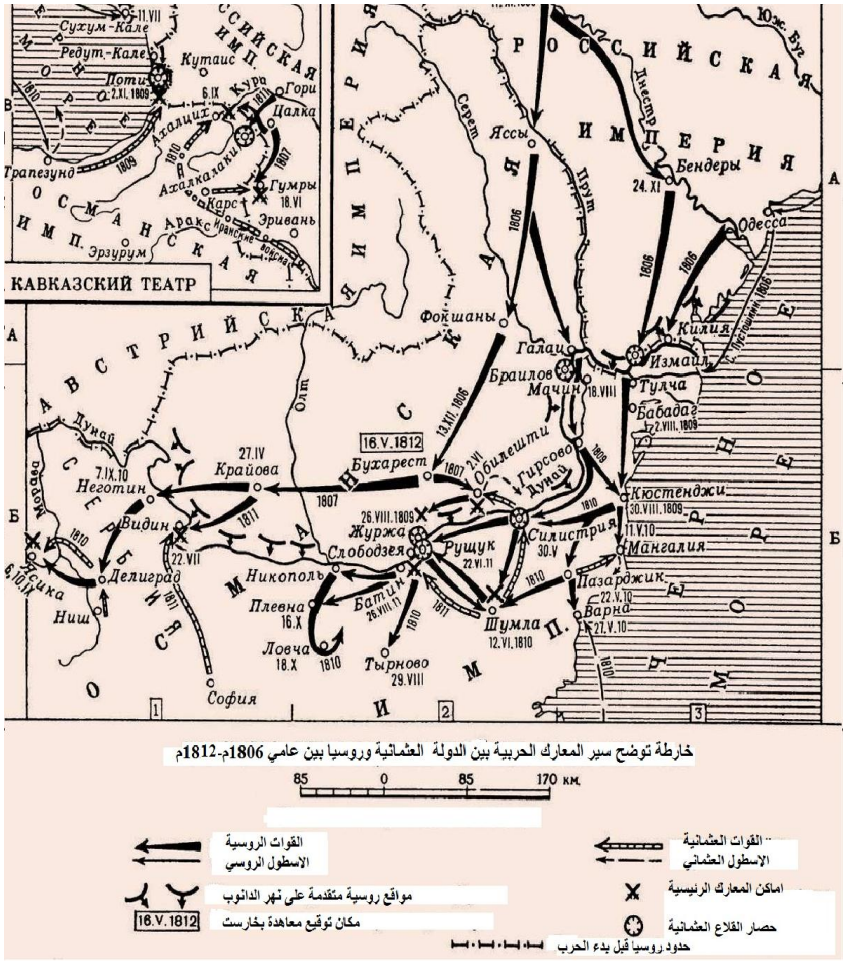

خامسا – أوضاع الدولة العثمانية و روسيا خلال الحرب بين عامي ١٨١٠–١٨١١م

تعد الحرب العثمانية الروسية ١٨٠٦ –١٨١٢م من أطول الحروب التي خاضتها روسيا ضد الدولة العثمانية كما وتعد أيضا من الأحداث العظيمة التي هزت العالم في حينها إذ تغير الوضع الدولي في ذلك الوقت عدة مرات وفقا للداعمين الخارجيين للدولة العثمانية وخصمها الروسي ففي سنوات ١٨٠٦ –١٨٠٧م كانت فرنسا تحيك المؤامرات ضد روسيا بينما كانت بريطانيا حليفة لروسيا ، فمنذ النصف الثاني من عام ١٨٠٧م والى عام ١٨١٠م تغير الوضع بشكل جذري بين القيصر الكسندر الأول ونابليون بونابرت إذ أصبحوا حلفاء في تيلسيت في الوقت ذاته كانت الجنيهات البريطانية تتدفق إلى الخزينة العثمانية ، أما بحلول عام ١٨١٠م عادت عقارب الساعة مرة أخرى إلى موقعها الأصلي و كل هذا انعكس على الفور على ضفاف نهر الدانوب [٢٣] ، كانت العلاقات متوترة بين فرنسا وبريطانيا في ذلك الوقت بسبب الحصار القاري الذي بدأ منذ عام ١٨٠٦م واستمر حتى عام ١٨١٤م ، بالاضافة الى ان الاكسندر الاول تعهد لنابليون بونابرت بالتوسط لإقامة سلام مُرْضٍ بين بريطانيا وفرنسا وإن فشل في تحقيق ذلك سوف ينضم إلى فرنسا في مواجهة بريطانيا حصارا وحربا، وقد أبهج هذا التعهد نابليون بونابرت لأنه كان يدرك اهمية التعاون مع روسيا في حصار بريطانيا الذي يعد أهم بكثير من استحواذه على مزيد من الأراضي.

كانت الأوضاع في الدولة العثمانية مرتبكة وصعبة جدا بسبب انقلابات القصر المتكررة وخلع السلاطين العثمانيين هذا من الجانب العثماني ، أما من الجانب الروسي فقد كان واضح رؤية التغيير المتكرر في القادة العسكريين الروس لذلك نرى في كل حملة غزو كان يقوم بها الروس كان هناك قائد جديد للقوات المسلحة مثل بوكاجيف وميخلسون و بروزوروفسكي و بكراتون و كامنسكي وكوتوزوف وقد عمل القادة الثلاثة الأوائل من دون جدوى وجرت العمليات في عهدهم ببطء، ومن دون خطط محددة ولم يولوا اهتماما للتواصل مع الصرب ، أما بروزوروفسكي لم يكن لديه تقديرات زمنية للمعارك وأمضى عام ١٨٠٨م بإجراء مفاوضات عديمة الفائدة أما على الصعيد العسكري فقد كان تحت قيادة بروزوروفسكي ٨٠٠٠٠ جندي مدربين تدريبا عاليا حيث استطاع التقدم بشكل سريع على نهر الدانوب والبلقان [٢٤]

أما الصدر الأعظم مصطفى فقد تم قتله من قبل الإنكشاريين المحاطين به ،ومن الجدير بالذكر أن نظام الانكشارية وهو عماد الجيش العثماني والذي أسسه اورخان الأول (١٢٨١-١٣٦١م) كان يعد من أهم أسباب التفوق العثماني في مرحلة نشوء وتكوين واتساع الدولة العثمانية وانتقالها من مرحلة الإقليمية إلى العالمية ولكنه أضحى بعد ذلك – نظرا لما أصابه من تدهور – من أهم مظاهر ضعفها ومن أهم أسباب تدهور دورها العالمي إذ لم يعد مصدرا للرعب في أوروبا بل مصدرا للقلاقل الداخلية ومبعثا للعديد من الهزائم ويرجع هذا الوضع الى عدة أمور متداخلة التأثير تتلخص في توقف الفتوحات ووصول الدولة العثمانية إلى أقصى اتساعها والتغير في تركيب الجيش وفقدان الانكشارية أسس دورها التقليدي ،وقد ازدادت أعداد الانكشارية بعد أن فتح النظام العثماني الباب على مصراعيه أمام جميع المسلمين للانخراط في عداد الانكشارية منذ نهاية القرن السادس عشر بعد أن كان يتم اختيارهم وفق نظام ولذلك ازدادت أعدادهم وضعفت كفاءتهم وضعف الضبط وزادت الأعباء في نفس الوقت الذي لم تعد فيه الانكشارية تؤدي دورها في السابق وأضحت بدورها مصدرا للقلاقل الداخلية لتدخلها في الحياة السياسية إلى حد وصل بها الحال بالتدخل في تولية وإزاحة السلاطين والصدور العظام والمطالبة بامتيازات مالية باهظة [٢٥]

كما أن لغة السلاح كانت دائما أكثر إقناعا وأكثر بلاغة من اللغة الدبلوماسية و كان من الممكن أن تنتهي الحرب في عام ١٨٠٨م لولا عدم موافقة السلطان على المطالب الروسية ، ، كما أن جيش القيصر الكسندر الأول لم يتمكن من التغلب على الدولة العثمانية في السنوات ١٨٠٩-١٨١٠م و الوصول إلى أهدافه الإقليمية ويمكن أن نعزي ذلك إلى ثلاثة أسباب لذلك :

أولا، لم يكن للقيادة الروسية خطة واضحة واجرأات موحدة بالنسبة لجبهة نهر الدانوب فخلال عامين من الأعمال الحربية فسح المجال أمام ثلاثة فرق، كل فرقة يقودها قائد ويتصرف من تلقاء نفسه.

ثانيا، مشاكل وصول الإمدادات، والأوبئة والأمراض ، وعدم المعرفة المحلية للمنطقة وغير ذلك كل هذا أعاق تحقيق الأهداف

ثالثا، ينبغي الإشارة إلى الصفات القتالية للجيش العثماني فعلى الرغم من الهزائم المتكررة ، إلا أنه لم يتوقف عن القتال ولم يستسلم للجيش الروسي ولم يعطيه إمكانية تحقيق ميزة ساحقة.

كان للجهود الروسية من الناحية العسكرية فوائد كبيرة تمثلت فقط في الحملتين الأخيرتين لـــ(كامنسكي وكوتوزوف) حيث كان كامنسكي شاب طموح وذو مواهب بارعة

وأدرك على الفور أن السلام مع الدولة العثمانية يجب ان يكون بالبحث أبعد من نهر الدانوب وحتى منطقة البلقان ويجب مساعدة الصرب لذلك أرسل فيلق بقيادة زاسا لمساعدتهم ، في حين أن القادة الذين سبقوه اقتصرت مساعداتهم على ردود رسمية وإرسال مساعدات قليلة جدا ومن الواضح كانت القوات غير كافية ، أما حملته الثانية في عام ١٨١١م والتي كانت تحت قيادته (كامنسكي) فقد وعد القيصر بان تكون حملة ناجحة وباهرة [٢٦].

أما القائد كوتوزوف فقد كان مختلف تماما وذو وطبيعة خاصة وهو على العكس تماما من كامنسكي ، حيث كان كوتوزوف اكبر سنا من كامنسكي تقريبا ضعف عمر كامنسكي ولديه الخبرة والمعرفة للعدو على المدى الطويل وكان يعتمد على حدسه ، وكانت طبيعة كوتوزوف غير عادية ، وهي ميزته الرئيسية وفي الوقت نفسه فإنها كانت عيبه الرئيسي[٢٧].

طالت الحرب وفي ظل هذا الوضع المعقد جدا في روسيا كانت الحرب وشيكة مع نابليون ولتسريع نهاية الحرب التي طال أمدها مع الدولة العثمانية ، قام الكسندر الأول بتعيين القائد العام للعمليات العسكرية كوتوزوف في عام ١٨١١م ، حيث تعامل كوتوزوف ببراعة مع مهمته التي أوكلت إليه وتصرف ببراعة وكان تحت قيادته قوة عددية أصغر بكثير من القوات العثمانية ، واستطاعت قوة كوتوزوف اختراق الجيش العثماني الذي قدر عدده بـــــ٦٠ ألف جندي بقيادة الصدر الأعظم و بدلا من اضطهاد العثمانيين واستغلال فرصة اختراقه للجيش العثماني ، فقد عمل كوتوزوف على إيهام العثمانيين وتظاهر بأنه يعمل على التراجع وذهب عبر نهر الدانوب إلى قلعة جورجيف ومن خلال هذه المناورة استطاع جذب القوات الرئيسية للجيش العثماني إلى الضفة الأخرى لنهر الدانوب وتمكن من وتحطيمها مما اضطر الصدر الأعظم إلى الاستسلام ،أما في جبهة القوقاز فقد استولت القوات الروسية في نهاية عام ١٨١١م على حصون أخالكالاكي وحصن أنابا و بوتي ، وكانت حملة ١٨١١م هي المفتاح لفهم الأحداث حيث اندلعت الحرب على نطاق واسع بشكل لا يمكن فهمه إلا في وقت لاحق وبعد عام اي في عام ١٨١٢م وهذا هو النموذج الأولي الذي وضع رسم تخطيطي للحرب الوطنية في عام ١٨١٢ م ضد نابليون بونابرت ، أما على الجانب العثماني فقد قام الصدر الأعظم بالهجوم على – روشوك – وهذا يعتبر بداية مصيرية ومغامرة على الضفة اليسرى للدانوب بينما كان نابليون يستعد للهجوم على روسيا والاقتراب من موسكو ، اما إستراتيجية كوتوزوف في هذان الحملتان – كانت واحدة وبنفس النظام ، كانت سنة ١٨١١م عام من النجاحات الحاسمة للسلاح الروسي في البلقان فبحلول بداية العام كان الوضع الدولي قد تغير

بشكل خطير – وبشرت العلاقات الروسية والفرنسية بحرب قريبة ومن أجل تعزيز الموقف الروسي أمر الكسندر الأول القائد كامنسكي الثاني بإرسال ٥ فرق من جيش الدانوب إلى الحدود الغربية ، والقوات المتبقية تقتصر بالدفاع عن الحصون المحتلة و الإشراف على توقيع السلام بسرعة مع الأتراك على أن يتحقق معه شرط الاعتراف بالحدود على نهر الدانوب وجميع المطالبات السابقة الخاصة بالجانب الروسي ، وقد بذلت كل من فرنسا والنمسا كل جهد ممكن لمنع إبرام اتفاق للسلام بين روسيا و الدولة العثمانية ، أما الباب العالي فقد اخذ يعمل بكل قوة على تحشيد قواته بشكل مكثف لتوجيه الضربة القاضية لروسيا، وكان كامنسكي الثاني قد اعد نفسه وتوجه إلى البلقان واستطاع احتلال لوفجي، ولكن بعد ذلك أصيب بمرض خطير اضطره إلى العودة إلى نهر الدانوب مع مفرزته ومع ذلك كان احتلال لوفجي قد اجبر الصدر الأعظم الجديد أحمد بك على تأجيل الهجوم إلى الربيع والتوجه الى غرب بلغاريا ، اما القائد الجديد لجيش الدانوب بعد تعيين كامنسكي الثاني للجيش الاحتياطي الثاني ، أصبح القائد العام للمشاة ميخائيل كوتوزوف و تحت قيادته ٤٦٠٠٠ ألف جندي مقابل ٧٠٠٠٠ ألف جندي عثماني ، ورفض الجنرال كوتوزوف الحذر في حملة البلقان وكان شخص مألوف من خصمه منذ أيام الحروب الكاترينية ، وكان يعتقد أن العثمانيين من شأنهم أن يبعثوا القوى الرئيسية إلى أواسط نهر الدانوب ليعبروا الحدود هناك ويسيطروا على بوخارست ولكي لا تتفرق قواته ترك كوتوزوف عدة قلاع منها – سيليسترا ونيكوبول التي كانت مدمرة ، وانسحبت القوة الرئيسية الى روشوك وجورجي التي تقع على الطريق الرئيسي لبوخارست ، كما أغلقت قوات زاسا الجناح اليميني لولاشيا الصغرى وأورورك في بلغراد، وتركت هناك – بعض العناصر على نهر الدانوب السفلى وسلوبودزي وكان قائد القوات الروسية في انتظار المزيد من المعارك مع الأتراك في حين ان كوتوزوف كان قد دخل في محادثات سلام مع الصدر الأعظم لكن لا الإمبراطور الروسي ولا الأتراك لم يوافقوا على تقديم تنازلات ونتيجة لذلك توقفت المفاوضات [٢٨].

سادسا – نهاية الحرب وتوقيع معاهدة بوخارست في عام ١٨١٢م

تغيرت مجريات الأحداث ورجحت كفة النصر إلى جانب الروس خصوصا في آذار ١٨١١م بعد تعيين كوتوزوف قائد للعمليات العسكرية الروسية لجيش الدانوب والذي عمل على تكثيف العمليات العسكرية على الضفة اليمنى لـــ (روشوك) وعلى الضفة اليسرى

لـــ(سلوبوزيا) من ضفاف نهر الدانوب حيث عانى العثمانيون من هزيمة ساحقة في الدانوب وذلك بعد أن أعطت القيادة العثمانية أمرا لقواتها إلى بداية الهجوم حيث قرر الصدر الأعظم مهاجمة روشوك وكسر قوات كوتوزوف ومن ثم التواصل مع جيش إسماعيل بك التي كانت تغزو والاشيا وبعد اتصال الجيشين سيكون من السهل الاستيلاء على بوخارست [٢٩]

في ٢٢ تموز ١٨١١م كان تحت قيادة أحمد باشا ٦٠٠٠٠ ألف جندي هاجموا نحو ١٥٠٠٠ ألف جندي من الروس بقيادة كوتوزوف عند روشوك ولكن نيران المدفعية الروسية والهجمات المضادة استطاعت صد الهجوم حيث فقد العثمانيين ٥٠٠٠ شخص بينما فقد الروس ٥٠٠ شخص ثم تراجعت قوات أحمد باشا إلى مكان ما قبل الهجوم بالقرب من قرية كاديكوي وأصبح أحمد باشا ينتظر الهجوم الروسي المضاد ، وعلى الرغم من انتصار كوتوزوف ولأسباب مختلفة فانه كان يعتبر البقاء في روشوك شيء خطير اذ قام بتدمير التحصينات ونقل جميع قواته إلى الضفة اليسرى للدانوب مدعومة بقوات على الجناحين الأيمن الأيسر وقام ببذل الجهود لتعزيز موقفه في جورجي وفي الوقت نفسه ناشد القيصر في سان بطرسبروغ للحصول على إذن على التحرك صعودا إلى نهر الدانوب مع الفرقة التاسعة المسماة اياسي و الفرقة الخامسة عشر من خوتين ، وبعد تراجع كوتوزوف على الضفة اليسرى احتل الصدر الأعظم روشوك وعلى مدى كل شهر تموز لم يتخذ أي إجراء وانتظر الحصول على أخبار إسماعيل بك لنقل قواته إلى والاشيا الصغرى ، وهذا الأخير (إسماعيل بك) بعد معركة مع مفرزة زاسا في أواخر تموز أصبح محاصرا في كالافاتي ولمساعدة إسماعيل بك هدد الصدر الأعظم مفرزة زاسا بقوات كبيرة ومميزة ، وأراد إجبارها على فتح الطريق أمام إسماعيل بك، وفي ٢ أيلول عبر ٣٦٠٠٠ جندي عثماني الحدود إلى الضفة اليسرى، ونزلوا في سلوبوزيا، وعلى الضفة اليمنى وصل ٣٠٠٠٠ ألف جندي عثماني بدلا من المهاجمة الفورية من قبل أحمد باشا لكوتوزوف الذي كان تحت يده ولا يزيد عدد قواته على ١٠ آلاف إلا أن أحمد باشا قرر الانتظار حتى تقوم القوات الروسية نفسها بمهاجمته اذ قام كوتوزوف بتعزيز مفرزة قوة الجنرال ايسينا والفرقة التاسعة التي يبلغ عددها ٢٥٠٠٠ ألف اذ حاصروا المعسكر العثماني المحصن عن طريق بناء الحواجز الدفاعية والخطوط المجاورة للأجنحة على نهر الدانوب، وابلوا بلاء حسنا وكانت خطة شجاعة [٣٠].

وفي ليلة خريفية مظلمة من ١ –٢ تشرين الأول عبرت مفرزة بقيادة ماركوف تتألف من (٥٠٠٠ شخص من المشاة و٢٥٠٠ من الفرسان و ٣٨ مدفع) إلى الضفة اليمنى لنهر الدانوب وفي فجر يوم ٢ تشرين الأول قام بهجوم مفاجئ على الجيش العثماني ، الذي فر مذعورا خلال الهجوم، وقد فقدت القوات الروسية ما مجموعه ٩ أشخاص واصيب ٤٠ آخرين بجروح وحصل جيش كوتوزوف على مخيم ضخم مع جميع الاحتياطات الغذائية والذخيرة، بعد ذلك وفي مخيم سلوبوزيا العثماني على الضفة اليسرى تم الهجوم من قبل فرقتين روسيتين اضطر على أثرها الصدر الأعظم على الفور بطلب الهدنة من كوتوزوف ، ولكن دون جدوى ،وهرب في الليل الى روشوك، وترك جنوده يلاقون مصيرهم وقد سمح كوتوزوف له بالهروب لأنه كان على علم بأنه في القانون العثماني لا يمكن للصدر الأعظم التفاوض على السلام إذا كان محاصرا ، وفي ٣ تشرين الأول الأسطول الروسي الدانوبي تمكن في النهاية من الاتصال بالعثمانيين على الضفة اليمنى وكانوا محرومين من وصول الذخيرة والمواد الغذائية، وقد عانى الجيش العثماني في سلوبوزيا خسائر فادحة بسبب الجوع والمرض والقصف وبعد يوم ١٠ و ١١ تشرين الأول تم احتلال تورتوكاي وسيليسترا ، وتراجع إسماعيل بك الى صوفيا ، وفي يوم ٢٣ تشرين الثاني ١٨١١م قام أحمد باشا بالفعل بالتوقيع على استسلام بقايا جيشه في سلوبوزيا، التي بلغت في وقتها ما يقارب ١٢ ألف شخص ، وبعد ذلك بين الأطراف المتحاربة تم توقيع الهدنة وبدأ التخويل مرة أخرى لمناقشة شروط السلام، وانتهت الحملة بالفشل بالنسبة للعثمانيين ولكنهم في هذا الوقت تبين لهم بشكل واضح صعوبة المحادثات وبالنظر إلى المأزق الذي كانت عليه روسيا عشية الصراع الكبير مع فرنسا، ورفض العثمانيين بحزم الاعتراف ليس فقط في الدانوب، ولكن حتى في سيريت النهر الحدودي بين روسيا و الدولة العثمانية ومن الواضح أن المفاوضات لا يمكن أن تعطي نتائج إيجابية بالنسبة للروس ، لذلك بدأ كوتوزوف حملته في عام ١٨١٢م في فصل الشتاء بأربع سرايا عبرت نهر الدانوب على الجليد إلى إسماعيل، جلاتسا، سيليسترا وسيستوف وكان هذا الاحتلال يستند إلى خطط مرسومة ومعدة مسبقا من قبل بداية الحملة كما كان للعزم والتصميم الروسي على مواصلة الحرب ذات أثرا كبيرا على العثمانيين ، كما تبين ان العثمانيين كانوا يميلون في هذا الوقت تحديدا إلى تقديم تنازلات كما كان الباب العالي أيضا لديه الكثير من الشكوك بصدق نابليون، الذي كان لا يتواصل معهم ولا يهمه أمرهم ،وكانت الدولة العثمانية منهكة كثيرا من

سنوات الحرب الطويلة والفاشلة وحدث لديهم عجز بالتمويل من الناحية المالية ، وأعرب الناس عن عدم الرضا وحتى المتشددين من الإنكشاريين الأقوياء أرادوا التوقف عن الاستمرار على مواصلة الحرب ، كما ان روسيا أيضا لا يمكنها الإصرار على المطالبة بكامل مطالبها الإقليمية وكانت نتيجة الحرب الإجمالية هو انتصار روسيا ، ولكنها لم تصل إلى نتائج إستراتيجية كبرى، التي من شأنها أن تضع الخصم في حالة ميؤوس منها، و تسمح لها ان تملي على العدو المهزوم كل مطالبها ، كما ان روسيا في هذا الوقت كانت بحاجة الى سلام ، بكل الوسائل ومهما كان الثمن، وبالتالي فإن القائد العام كان يميل إلى تقديم تنازلات [٣١] .

بعد رؤية هزيمة العثمانيين أمام الروس قام نابليون بالتقرب من العثمانيين والاعتماد على مساعدتهم كحلفاء في غزو روسيا ، وكان نابليون يعمل بكل وسيلة لتحريض السلطان على مواصلة الحرب ضد الروس ، وكان السلطان يأمل بمساعدة من الفرنسيين، ثم في أوائل عام ١٨١٢م قام كوتوزوف في الهجوم على قلعة إسماعيل، و كلاتز و سيليسترا و سيستوف ،إن هذه الحملة العسكرية الناجحة للمشير الروسي ميخائيل كوتوزوف أجبرت العثمانيين على ترك بيسارابيا لصالح روسيا، التي حددت في اتفاقية بوخارست في البند ١٦ في (٢٨) أيار ١٨١٢م واحتلت روسيا جزء كبير من بيسارابيا وساحل البحر الأسود مع مدينة اوخا أما مولدافيا ووالاشيا بقيتا ضمن الإمبراطورية العثمانية، إلا أنهما حصلتا على الحكم الذاتي كما ان الجزء الأكبر من الحكم الذاتي أعطته الدولة العثمانية لصربيا وأصبحت روسيا الضامن لتنفيذ الباب العالي لشروط هذه المعاهدة [٣٢] .

إن عملية كوتوزوف في روشوك – سلوبوزيا قررت نتائج الحرب بعد خسارة الجيش العثماني المهاجم بالكامل ، وعلى الرغم من الجهود الاستثنائية من قبل فرنسا لتعطيل اتفاق السلام (وذلك لان نابليون بونابرت كان يعد العدة للهجوم على روسيا ولكي يفتح جبهة ثانية للحرب معها مما يسهل على جيشه اقتحام الأراضي الروسية) ، فقد حدثت مفاوضات بين الجانبين وكان نتيجتها توقيع معاهدة السلام ١٦ مايو ١٨١٢م [٣٣].

وقعت هذه الاتفاقية في بوخارست وتم التصديق عليها في ١١ تموز ١٨١٢م من قبل ألكسندر الأول في مدينة فيلنا، وفي هذا اليوم بالتحديد كان جيش كبير بقيادة نابليون بونابرت ، يستعد ويتجهز على حدود روسيا الغربية وعبر الحدود الغربية لروسيا بالفعل ، إن

الإمبراطور الكسندر الأول كان قد تبين له بان توقيت توقيع السلام مع الدولة العثمانية كان مناسبا جدا ، وأطلق الكسندر الأول على هذا السلام (هبة الله أو نعمة الله)

وتألفت معاهدة السلام من ١٦ مادة و ٢ بنود سرية وفقا لشروطها :

١- تم رسم الحدود بين الدولة العثمانية وروسيا من دنيستر إلى نهر بروت وارتباطه مع نهر الدانوب ومن ثم من قناة كيليسكي إلى البحر الأسود.

٢- تأخذ روسيا الجزء الشرقي من إمارة مولدافيا وأراضي بروت ودنيستر، وتحصل على مركز إقليم بيسارابيا في مساحة ٤٠٠٠٠ ميل مربع مع قلعة إزماييل، كيليا، خوتين، بندر واكرمان ويبلغ عدد سكانها أكثر من ٢٠٠ ألف شخص.(٣٤)

ومن الجدير بالذكر ان سكان بيسارابيا كانوا رومانا وقسما منهم اوكرانا لكن سكان سواحل البحر الأسود في الجنوب الذين يسمون(بوجاق) كانوا أتراكا وهكذا أصبح نهر بروت يشكل الحدود العثمانية الروسية بدلا من دنيستر (٣٥)

٣- اما على جانب القوقاز، فقد حصلت روسيا على فرصة للاحتفاظ بكل مناطق القوقاز، وبصورة طوعية انضمت إليها لارباجيا، اجارسكي الجبال والبحر الأسود (بما في ذلك إيميريتي، منغريليا، غوريا وأبخازيا)، واضطرت روسيا إلى إعادة كل الأراضي التي احتلتها في هذه الحرب بقوة السلاح من بينها (أنابا، بوتي وأخالكالاكي) إلى الدولة العثمانية والاحتفاظ بسوخومي كما ان روسيا ولأول مرة تحصل على قواعد بحرية على ساحل القوقاز في البحر الأسود.

٤- البنود السرية كانت تنص على انه بإمكان روسيا المرور من ساحل البحر في منطقة القوقاز وتقع على بعد " ساعتين من الضفة اليمنى لنهر فازيسا (ار ريون) وتبعد أربع ساعات من قلعة« اكاكاري » وتمتد ٣٠-٤٠ ميل (٣٦).

٥- يستمر الجيش العثماني في التواجد في قلاع بلغراد والقلاع المجاورة الأخرى مع التأكيد على استقلال صربيا (الحكم الذاتي) في الأمور المتعلقة بالإدارة الداخلية ووضع الأسس لاستقلالها في المستقبل اذ أصبحت صربيا أنموذجا للشعوب البلقانية الأخرى ، وكانت سببا في تحريض اليونان بوجه خاص للثورة ضد العثمانيين (٣٧).

٦- حصلت روسيا على الحق في النقل البحري التجاري في جميع أنحاء نهر الدانوب

٧- إمارات الدانوب وأجزاء من مولدافيا على الضفة اليمنى لنهر بروت و ولاشيا تم إعادتها إلى الدولة العثمانية ولكنه تم تأكيد استقلاليتها التي منحته عن طريق معاهدة كوجك كنارجي (١٧٧٤) ومعاهدة سلام ياسكي (١٧٩١).

٨- حدود آسيا عادت إلى الوضع الذي كانت عليه قبل الحرب [٣٨]

سمحت معاهدة بوخارست للقادة الروس إلى تركيز كل قواتهم في صد عدوان نابليون وقد أدت نجاحات الأسلحة الروسية وإبرام معاهدة بوخارست إلى إضعاف الدور الاقتصادي والسياسي والديني في الإمبراطورية العثمانية التي كانت تمارسه على الشعوب المسيحية في شبه جزيرة البلقان [٣٩].

كانت معاهدة بوخارست على أهمية كبيرة بالنسبة للروس ، وقد اختتمت قبل شهر من غزو نابليون لروسيا كما إنها أحبطت آمال نابليون من طلب مساعدة الجيش العثماني [٤٠]

قام الروس بزج جزء من قواتهم في الحرب مع الدولة العثمانية ، وهذا انعكس على طبيعة العمليات العسكرية للجيش الروسي حيث انه لا يمكن إرسال كل القوة العسكرية للحرب ضد العثمانيين ولا يمكن تطوير العمليات بشكل أوسع لان ذلك يحتاج إلى أموال طائلة وإمدادات حربية كبيرة [٤١] .

كان القادة الروس قد اعتمدوا في وضع خططهم العسكرية على الاستيلاء على العديد من القلاع والحصون التي تقع في مسارح الحرب وهذه التقنيات الإستراتيجية تؤدي إلى إطالة أمد الحرب وتزرع بذرة التذمر والانطباع السلبي في نفوس العدو،وعلى الرغم طول الحرب إلا انه تحقق الانتصار للروس ولكن ببطء شديد ، في كل المواجهات مع العثمانيين في ميدان المعركة وحتى في الحالات التي يكون العدو فيها متفوقا عدديا بشكل كبير نرى أن المعركة تسير لصالح الروس وهذا يدل على التفوق التكتيكي للجيش الروسي إلا أن العثمانيين كانوا أقوياء فقط في الدفاع السلبي عبر إنشاء الخنادق والتحصينات في حين أن القوات الروسية كانت تناور بمهارة في ميدان الحرب ، وكانت المعركة الأخيرة في نهر الدانوب عشية غزو نابليون لروسيا التي تم حيث تم تقليص عدد جيش الدانوب ـــــ بسبب سحب أعداد كبيرة منها وتحشدها على الحدود الغربية لروسيا استعداد لمواجهة نابليون ــ وعلى الرغم من هذا فقد وضع كوتوزوف تقنيات رائعة للجيش الروسي وضعت الأتراك في حالة ميئوس منها [٤٢].

كان للحرب العثمانية – الروسية بين عامي ١٨٠٦–١٨١٢ م نتائج جيدة بالنسبة لروسيا إذ أن بيسارابيا اندمجت وارتبطت ارتباطا وثيقا مع روسيا ، وكانت الحدود الروسية في جنوب غرب بروت على الشاطئ قبل قرن من هذه الحرب كان هناك جيش روسي كبير وعلى رأسه القيصر بطرس الأكبر الذي كان بمثابة رسالة للأجيال الروسية المقبلة على وجوب السيطرة على نهر الدانوب والبلقان.[٤٣]

بلغ عدد القتلى في الجيش الروسي في هذه الحرب مع الدولة العثمانية ١٠٠٠٠٠ ألف شخص (أكثر من ثلثي هذا العدد توفي بسبب الأمراض) والملحق المرفق في نهاية البحث يبين إحصائيات الحرب العثمانية الروسية ١٨٠٦م – ١٨١٢م [٤٤]

ملحق بإحصائيات الحرب العثمانية الروسية ١٨٠٦–١٨١٢م

الدول المتحاربة	المتوفين جراء الجروح	القتلى في الحرب	تعبئة الجنود	عدد السكان في عام (١٨٠٦م)	المتوفين جراء الأمراض
الإمبراطورية الروسية	4 000	24 000	1 200 000	39 355 600	72 000
الدولة العثمانية	5 000	30 000	400 000	24 700 000	90 000
المجموع	9000	54 000	1 600 000	64 055 600	162 000

الخـــــاتمـــــة:

كانت أسس البحث تعتمد بشكل كبير على مؤلفات المؤرخين الروس المعاصرين في مجال رؤيتهم للحرب العثمانية –الروسية ١٨٠٦–١٨١٢م خصوصا وان هؤلاء المؤرخين قد اعتمدوا في مؤلفاتهم على وثائق رسمية عن السياسة الخارجية لروسيا في القرن التاسع عشر وعلى مصادر خاصة بتاريخ روسيا في تلك المدة ، وان هدفي من دراسة هذا الموضوع هو لبيان وجهة نظر المؤرخين الروس المعاصرين لهذه الحرب وقد ساعدتني كثيرا معرفتي باللغة الروسية على فهم الكثير من الأحداث.

تبين لنا من خلال الاطلاع على عدد كبير من المصادر التاريخية الروسية المتعلقة بموضوع البحث أن معظم المؤرخين الروس المعاصرين الذين كتبوا عن هذا الموضوع منحازين ومتحاملين نوعا ما ضد الدولة العثمانية على الرغم من أنهم انتصروا في هذه الحرب التي تعد من أطول الحروب التي وقعت بين روسيا والدولة العثمانية في الجانب الآخر نجد أيضا هناك عدد كبير من المؤرخين العثمانيين والعرب المنحازين للدولة العثمانية وكثير من المصادر العربية والعثمانية قد تحدثت عن هذه الحرب لكنني حاولت تناول هذه الحرب بشيء من التفصيل قدر الإمكان وإبراز وجهة نظر المؤرخين المعاصرين الروس في هذه الحرب لكي يطلع القارئ العربي على ماكتبه المؤرخين الروس المعاصرين فيما يتعلق بهذه الحرب على وجه الخصوص .

مما سبق يتبين أن هذا الموضوع يعد من الأهمية بمكان وينبغى أن تتوجه إليه الجهود ويحظى بالعناية والاهتمام في هذه الحرب التي وقعت بين إمبراطوريتين عظيمتين في حينها وبمساندة ومساعدة دول حليفة أخرى هدفها هو التوسع على حساب الغير واستغلال فترات التدهور والضعف الداخلي الذي شهدته الدولة العثمانية في مطلع القرن التاسع عشر ، وكما أود القول بان النظام الدولي السائد آنذاك بين الدول المتحالفة يستند إلى القول السائد " لا توجد صداقة دائمة بين الدول ولكن توجد مصالح مشتركة ".

مصادر البحث :

(١) بيريفينتسيف ،روسيا – المصير العظيم – مدينة تفير (روسيا) ، ٢٠١٢، ص109

• القيصر الكسندر الأول رومانوف (١٧٧٧–١٨٢٥) ابن القيصر بافل الأول وحفيد الإمبراطورة كاترين الثانية ، تولى عرش روسيا في عام ١٨٠١م ، اذ قام في بداية حكمه بإصلاحات ليبرالية معتدلة ، كما ضم في عهده إلى روسيا كل من جورجيا وفنلندا وبيسارابيا وجزء كبير من أذربيجان ، كم قاد بنفسه الجيش الروسي في الحرب ضد قوات نابليون بونابرت ، وفي عام ١٨١٤م دخل باريس على رأس قوات الائتلاف الأوروبي المعادي لفرنسا ، وكان أحد القادة المشاركين في مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ م الذي وضع نظاما جديدا لأوروبا. شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) http://www.alankabout.com/various_files/biographies/87010.html

(٢)ستيبانيشيف ، تاريخ روسيا ، يقع في جزأين ، الجزء الأول من القرن السابع عشر إلى بداية القرن العشرين، موسكو، ٢٠٠٩، ص 306

(٣) انتهت الحرب الروسية –الفارسية في عام ١٨١٣م بانضمام (خانات تاليش و سهوب موغان) إلى روسيا بعد إبرام معاهدة سلام كلستان (بالروسية :Гюлистанский договор) ، (بالفارسية :عهدنامه گلستان)، و مملكة القاجار في إيران وتم توقيعها في ٢٤ تشرين الأول ١٨١٣م ، حيث اعترفت إيران بسيطرة روسيا على هذه الأراضي ، كما منحت روسيا الحق في تواجد سفنها الحربية في بحر قزوين) ونتج عنها خروج مناطق كثيرة في منطقة القوقاز وأجزاء من سواحل بحر قزوين الغربية من سلطة إيران بشكل دائم وقد سميت المعاهدة بهذا الاسم نسبة إلى مكان توقيع المعاهدة و هي قرية كلستان التي تقع في محافظة (جورانبوي) غرب جمهورية أذربيجان .

H. Pir Nia, Abbas Eghbal Ashtiani, B. Agheli. History of Persia. Tehran, 2002. pp. 673–674

(٤) ستيبانيشيف ، المصدر السابق ،ص 309–307

(٥) كورنيفا و جيبوكساروفا ، روسيا وأوروبا – سانت بطرسبرغ،٢٠١٠،ص ٢٨٣

(٦) دومونتوفيج ، استعراض الحروب الروسية التركية ، موسكو، ٢٠١٢، ص ٢٠

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢١

(٨) هو أحد سلاطين الدولة العثمانية ، تولى السلطة بعد وفاة عمه السلطان عبد الحميد الأول عام ١٧٨٩م وكان من أصحاب الهمة العالية، خلعه الإنكشاريّة بانقلابٍ بقيادة قباقچي مُصطفى أوغلي رفضًا للإصلاحات التي أدخلها في جسم الدولة ،اغتيل بعد سنة من خلعه ينظر : ويكبيديا الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org/wiki

(٩) ويمكننا العودة إلى أواخر القرن الثامن عشر لفهم الإحداث بشكل جيد حيث انه وبدعم من روسيا شن سكان الجبل الأسود نضالا من أجل الاستقلال عن الدولة العثمانية ففي عام ١٧٩٦م وبعد هزيمة الأتراك في الجبل الأسود بقيادة الحاكم ستروم وخسارة ٣٠٠٠٠ ألف جندي عثماني اضطر السلطان إلى الاعتراف رسميا باستقلال الجبل الأسود وفي بداية القرن التاسع عشر استمر الجبل الأسود بالنضال ضد **ظلم** السلطان العثماني (كما يزعم المؤلف) ؛ بوغوسلوفسكيا وآخرون ، موسوعة تاريخ الدول الأجنبية ، موسكو، ٢٠١٠ ، ص ٤٣٧

(١٠) لياشينكا ، تاريخ روسيا في القرن التاسع عشر، موسكو ، ص ١٠١

(١١) كورنيلوفا، مسار التاريخ الروسي في القرن التاسع عشر. الجزء ١ ،موسكو، ٢٠١٠ C. 285

(١٢) راسيل، الحروب الروسية التركية ،موسكو، ٢٠١٢. ص ٢٣

(١٣) دومونتوفيج ، المصدر السابق ، ص ٢٢

(١٤) هو ابن السلطان عبدُ الحميد الأوّل ، تولى منصب السلطنة في يوم ٢٩ ايار١٨٠٧م ، خُلع في عصيانٍ للإنكشاريّة بقيادة مُصطفى باشا العلمدار أُعدم بعد حوالي ثلاثة أشهر ونصف من خلعه في يوم ٢٨ تموز ١٨٠٨م ينظر : ويكبيديا الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org/wiki

(١٥) دانيليفسكي ، روسيا وأوروبا ،موسكو،٢٠١٠ ،ص ص ٢١١–٢١٥

(١٦) دومونتوفيج ، المصدر السابق ، ص ص ٢٢–٢٤

(١٧) ايشيموفا ، تاريخ روسيا ، مدينة تفير(روسيا) ،٢٠٠٩ ، ٢ ١٦٧

(١٨) ايغناتوف ،تاريخ روسيا في القرن التاسع عشر ، موسكو ،٢٠١٠ ، ص ١٤٢

(١٩) ايشيموفا ، تاريخ روسيا ، مدينة تفير(روسيا) ،٢٠٠٩، ص ص ١٦٧-١٦٩

(٢٠) برودنيكوف ، تاريخ الدولة وقانون الدول الأجنبية، موسكو ، ٢٠١١، ص ص ٥٣٧-٥٣٩

(٢١) دانيلوف وكوسولينا ، تاريخ روسيا في القرن التاسع عشر ،موسكو ،٢٠١٢ ، ص ص ٨٨-٩٠

(٢٢) شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) http://rushist.com/images/maps/map-war-rus-turk-1806-big.jpg

(٢٣) سخاروف ، تاريخ روسيا، يقع في جزئين ، الجزء الاول منذ بدية القرن التاسع عشر إلى بداية القرن الحادي والعشرين ، موسكو ،٢٠٠٩ ، ص ٢٩٦

(٢٤) راسيل ، المصدر السابق ، ص ٢٤

(٢٥) نادية محمود مصطفى، العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية (مشروع العلاقات الدولية في الإسلام) ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،(القاهرة: ١٩٩٦م) ،ط١ ،ج ١١ ،ص ص ٩٣-٩٤

(٢٦) لم تعط الحرب ما يمكن أن تعطيه للروس على الصعيد السياسي لذلك نرى وللمرة الرابعة خلال مائة عام مولدافيا ولشا استعصت على روسيا وحصلت روسيا ما يقرب من ربع ما كانت تسعى إليه ففي المرة الأولى السلطان نفسه اقترح في ١٧١١م إعطاء روسيا مولدافيا و والاشيا ولكن بطرس الأول (الأكبر) كان يريد أكثر من ذلك، ولذلك رفض السلطان اقتراحه هذا ، أما في المرة الثانية كانت عام ١٧٣٩م عندما أرادت مولدوفا الانخراط تحت الحكم الروسي لكنها لم تفلح بسبب قوة الأتراك آنذاك وللمرة الثالثة أقسمت الإمارة لروسيا بالولاء في عام ١٧٦٩م ولكن وفقا لسلام كينارجي تم إرجاعها مرة أخرى إلى الدولة العثمانية وأخيرا في المرة الرابعة كان الوزير مصطفى على استعداد للتنازل عن لروسيا في عام ١٨٠٨م وعلى الرغم من الوضع الدولي الملائم بالنسبة للروس انظر : راسيل ، المصدر السابق ، ص ٢٤

(٢٧) راكوفسكي ، كوتوزوف ، من سلسلة مصير روسيا العظيم ، موسكو ، ٢٠١١ ، ص 322

(٢٨) راسيل ، المصدر السابق ، ص ٢٤

(٢٩) دومونتوفيج ، المصدر السابق ،ص ٢٠

(٣٠) راكوفسكي ، المصدر السابق ، ص ٣٢٥

(٣١) راسيل ، المصدر السابق ، ص ص ٢٤ –٢٥

(٣٢) كيفروكوفا ولارينا واخرون ،تاريخ روسيا ،موسكو ، ٢٠١٢ ، ص ٩٣

(٣٣) راسيل ، المصدر السابق ، ص ٢٤

(٣٤) كورنيلوفا ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣

(٣٥) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ١٩٨٨م ، ترجمة: عدنان محمود سلمان ،ج ١، ط١ ،ص٦٦٩

(٣٦) كورنيلوفا ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣

(٣٧) أوزتونا، المصدر السابق ،ص٦٦٩

(٣٨) كورنيلوفا ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣

(٣٩) موروزوف ،تاريخ روسيا دراسة مختصرة ، موسكو ،٢٠١٠ ، ص ١٩٢

(٤٠) كلياتينا ، السياسة الخارجية لروسيا في القرن التاسع عشر، راستوف على الدانو، ٢٠١٠، ص ٣٩٩

(٤١) كيفروكوفا ولارينا واخرون ، المصدر السابق ، ص ٩٣

(٤٢) دومونتوفيج ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠–٢١

(٤٣) كالينوف ، الانتصارات الروسية ، مدينة تفير(روسيا) ، ٢٠١١م ، ص ٣٥١

(٤٤) راكوفسكي ، المصدر السابق ، ص ٣٥٤